# جراح الحرث فى البحر
# والشاعرة وفاء وجدى

تواصل الشـاعرة وفـاء وجدى فى دواوينها الشـعرية تأصيل صوت المرأة العربية الشـعرى وتعد مع الشـاعرة ملك عبد العزيز التى تسبقها فى التجربة والطلوع والنضج أبرز شـاعرتين مصريتين فى نطاق مدرسـة الشـعر الحديث. وقد صدر لوفاء وجدى عدد من الدواوين الشعرية هى: «ماذا تعنى الغربة» ١٩٦٧ و«الرؤية من فوق الجرح» ١٩٧٣ و«الحب فى زماننا» ١٩٨٣ و«الحرث فى البحر» ١٩٨٥ بالإضافة إلى مسرحية شعرية هى: «بيسان والأبواب السبعة»، وقد تفتحت موهبتها الشعرية فى أوج ازدهار حركة الشـعر الحديث فى منتصف السـتينيات حيث شاركت بإسهام محدود فى خلق تصور جديد لمفهوم القصيدة الشعرية التى كان يكتبها جيل ما بعد الرواد التى طمحوا فيها إلى تجسيد رؤيتهم الشعرية بعيدا عن ترديد شعارات الخمسينيات من ناحية ومراجعة فكرة الحداثة فى الشعر من ناحية أخرى.

ولقد جاء صوت وفاء وجدى فى دواوينها الأربعة وكأن قضية الحب هى المركز الرئيسـى لعالمها الذى ينطوى على حس رومانسـى جارف ولكنه يحاول تنويع اللحن الرومانسـى ليصبح إيقاعا متراوحا بين الفتنة الرومانسـية بالحب والجمال والحرية وبين رؤية شاحبة للواقع وطموح فاتر للتأمل الفلسفى. وتمثل تجربتها فى الحب إثراء لوجدانيات الشاعرة العربيـة فـى النصف الثانى من هذا القرن فهـى تتبدى أكثر تجردا من

قيود الماضى وهواجس القهر الأنثوى فتشيع فى شعرها هذه اللهجة الواثقة بالنفس والتى تعبر عن ندية وبراءة وإحساس بطبيعية العلاقة بين الرجل والمرأة ولهذا فهى لا تلجأ كثيرا للرموز توشح بها مشاعرها أو تسقط عليها خفايا عالمها الأنثوى. هى تتحدث ببساطة وبراءة عن عالم بسيط ومتواضع لا يحفل بالمغامرة ولا بتحطيم الأعراف والتقاليد وإنما تنسج لحنا للتوافق رغم إحساسها بالاغتراب. ويوشك الحب أن يكون وطنا لهذه الشاعرة التى تكرس للغناء له معظم أشعارها ولهذا تصبح الغربة هى فراق الأحباب وهى غربة ذات ملمح أنثوى، حيث تقول فى ديوانها «ماذا تعنى الغربة»:

**الغربة أن يفترق الأحباب وهم أحباب**
**ينتظرون ربيع الحب**
**يحلم كل حبيب بجنى موسمه الخلاب**
**لكن ما جدوى أن نعرف ما تعنيه الغربة**
**ومصير أوديبوس**
**ينتظر وراء الهولة والأبواب**

والإحساس بالعبث واللاجدوى أحد ملامح تجربتها الشعرية منذ ديوانها الأول فهى تعيش حياتها عبر موجات تعلو وتهبط من الفشل والنجاح من الأمل واليأس من الازدهار والانطفاء، وكأن وعيها يشارك مشاعرها عدم القدرة على ضبط إيقاع الحياة فى منظور متماسك تقول وفاء وجدى فى قصيدة «نحن والجنون والعدم»:

**سدى يضيع يومنا سدى**

**فى البحث عن لآلئ البحار فى الرمال**
**فى بذر حبات القلوب فى الصخور**
**ونثنى ندور**
**لنجمع الحصاد**
**......................**
**سدى ندور**
**فيومنا قصير**
**ونحن لا نواصل المسير**
**وثوبنا يفوح بالعدم**

إن الومضات الأنثوية بعبيرها الفواح تلمع فى دواوينها كإشارات لا تخطىء على وجود مركز لعاطفة رومانسية فى قلب وشعر وفاء وجدى فهى تحدثنا عن الخفايا السافرة فى قصيدة بهذا العنوان حيث تكشف عن غريزة المرأة التى لا تخطىء فى فهم عاطفة الرجل فتقول:

**هذا الذى تخفيه عنى**
**لتثير فى نفسى التلهف والتمنى**
**هذا الذى تخفيه يبدو كالضحى**
**متألقا فى مقلتيك أراه فى نزق يغنى**
**ويود إفصاحا ويأبى منك أن تتكتمه**
**ويظل يدعونى عسى أن أرحمه**

وتتبدى خصائص عالمها الشعرى من الزاوية الفنية متجسدة فى هذا الواقع «بالقص الشعرى» حيث تمثل القصيدة عندها حكاية تقترب

فــى بنائها من القصة القصيرة ولكنها لا تحفل بالتركيز والتوتر لتتصاعد إلى نهاية هى أقرب إلى التخلص من ذلك التوتر عن طريق الاســتطراد والتكــرار والكشــف عن كل أبعاد الموقــف دون أن تظلل ذلك بالايحاء الذى يتطلبه الفن عامة والشعر خاصة، وكأن الهدف من كتابة القصيدة ليس تجســيد الحالة الشــعرية فى كيان فنى مشحون بالتوتر والانفعال والفاعلية وإنما الهدف هو نفى الحالة الشعرية ذاتها عن الكيان النفسى وبســطها بطريقة سهلة فى كيان لغوى له إيقاع واضح ولكنه غير مكثف إلى الحد الذى يؤدى إلى نقل الشحنة إلى القارئ ولهذا تصعد التجربة الشــعرية عند وفاء وجدى عقب الانتهاء مــن قراءتها إلى الذهن لتأمل ما تبقى من حسرة أو عظة أو ندم من القصيدة ويجىء البناء الفنى بسبب هذه الخاصية «خاصية الإفضاء» أقرب إلى النثر لأن طبيعة الشــعر هى الايحاء. ويحاول الإيقاع أن يبدد الاحســاس بسيطرة النثر على القصائد كما تنتشر فى عالمها صور حقيقية للطبيعة والطفولة وهى تتخطى أحيانا عالم المألوف لتدخل أعماق الشعر حين تقول:

**يا نبع العينين الصافى**
**تتعبد عيناى بهيكلك المختار**
**فبفطرة حبك يا نبعى الهدار**
**تصطخب على شطيك النار**
**فأصلى تقديسا للنار**

وتغدو القصيــدة أكثر عذوبة حين تكتوى الشــاعرة بعذاب الإخفاق أو حسرة الفراق تقول فى قصيدة «أمام المنحنى»:

**ضاق الطريق بنا**
**فدعنا نفترق**
**وأمام أعيننا يطل المنحنى**
**وخطى محبتنا التى كانت شموخا**
**واعتدادا ومنى**
**صارت ترنح بعد أن ضاق الطريق**
**وإلى مجاهل فرقة**
**أوحت لنا أعماقنا أن نستبق**

ولكـــن هاجس التأمل ما يلبث أن يولد قلقا فى أعماق الشـــاعرة وفاء وجدى فى ديوانها الثانى «الرؤية من فوق الجرح» وتكتسى هذه المحاولة ثوب الحكمة المدعاة التى توشـــك أن تمزق الاهاب الشـــعرى فى بعض القصائد ولكنها تظل موقفا ينزع مرة إلى المغامرة مثل قولها:

**لا تتوقف**
**لا يجدى أن تتوقف**
**فأنا لا أنظر تحت الأقدام**
**وأنا فى قمة نفسى الشامخة الذروة**
**لا أتسكع فى ردهات الأيام**
**حين تلعثمت الخطوات بقدميك**
**وارتعش الصمت الثلجى بكفيك**
**أدركت بلا كلمات أن الهوة تبتلعك**
**غامت عيناى لهول المرأى**
**لكنى لم أملك الا أن أرثى لك**

من يمتلك أجنحة لا يتهاوى
لكن التمثال الطينى
يحمل قدر سقوطه
حتى لو أن الصانع بجماليون

تشيع فى معظم أشعار وفاء وجدى رؤية إنسانية تتشح بمسحة أخلاقية ترتقى فى بعض القصائد إلى آفاق صوفية كما فى ديوانها «الحرث فى البحر» حيث تتجسد هذه الرؤية فى قمة صدقها فى قصيدة «سكون» :

يا مولاى العارف
طال التجوال وضاق الصدر
هل ترشدنا عن حسن ختام الرحلة
كيف يكون
أدركنا أفراح الوصل وعانينا الأحزان
الحرمان وفقدان الصبر
أدركنا يا مولاى برشدك
فطريق العزلة عزل وطريق النفى موات
وطريق الرغبة مر
يا مولاى العارف
أدرك قصرى فى بصرى
وقصورى فى فهمى
وأجبنى:
كيف يكون الإغراق بحيثيات العقل نذيرا بجنون

**كيف يكون طريق الحب طريق منون؟**
**فكرنا يا مولاى ولكن**
**صار الفكر هو التجديف**
**ونطقنا بالصلوات ولكن**
**حوكمنا يا مولاى وكانت تهمتنا التحريف**
**لم لا يقبل منا سعى يا مولاى.**

إن الحب والوطن والبراءة والطبيعة هى أركان التجربة الشعرية لدى وفاء وجدى ويلعب الإيقاع دورا أساسيا فى إثارة الوجدان ولكن إضافتها الحقيقية فى نطاقها كشاعرة وسط كوكبة من الشعراء تكمن فى محاولة خلق نوع من الشعر الدرامى حيث يشيع الحس المسرحى المتمثل فى تعدد الأصوات والحوار والحركة وهذه العناصر تتغلب على الحس الغنائى فى بعض القصائد مثل قصيدة «محكمة الليل» وهى نموذج شعرى فريد لقدرة الشاعرة على مسرحة التجربة الشعرية فى القصيدة. لقد غلبت على الشاعرة وفاء وجدى طوال قصائدها نزعة الاستطراد والإفضاء ولكنها حاولت أن تجسد رؤيتها الشعرية ذات البعد الدرامى فى عدد من القصائد يكفى ليكفل لها موقعا مرئيا على خارطة الشعر النسائى فى مصر وهى تمثل هذا الجيل من الشعراء الذى يقف على مشارف مرحلة جديدة لا تضيق فيها المرأة بوضعها كامرأة بل تحس بالفخر لذلك وإضافة وفاء وجدى الشعرية لجيلها محسوسة لا من زاوية شاعريتها النسائية فقط بل كشاعرة تنتمى إلى جيل الستينيات امتلكت أدواتها الفنية وحاولت أن تحلق بأجنحتها فى فضاء أمل لم يلبث أن

تهاوى وأدركت مع أبناء جيلها من الشعراء أن جنى الحصاد كان مزيدا من الجراح بسبب الحرث فى البحر.

❑❑❑